محاضرة رقم 03: ماهية الفضاء العمومي:

1- مفهومه:

يقصد بالفضاء العمومي ذلكم الحيز الوسيط الذي ينشأ بين المجتمع المدني والدولة، إنه بعبارة أوضح المكان الذي يجتمع فيه جمهور المواطنين لصياغة رأي عمومي، ويكون هذا المكان مفتوحا من الناحية المبدئية في وجه كل المواطنين المعترف لهم بالحق في التجمع والتجمهر والتعبير الحر عن أرائهم، وصفة العمومية المنسوبة إلى هذا الفضاء ليست من جنس العمومية التي تنسب إلى الدولة أو المجتمع السياسي، العمومية المنسوبة إلى هذا الفضاء تعد بالأحرى وسيلة لنقد ممارسات السلطة ومراقبتها

يشير الفضاء (المجال) العام إلى الفضاءات والأماكن والمؤسسات التي تحتضن المناقشات العلنية التي تدور بحرية حول القضايا التي تهم الجميع وذلك باستعمال المنطق والحجج العقلية، والواقع أن فهم ماهو عمومي يتبلور ويتحدد من خلال وضعه في مقابل الحياة الخاصة التي تشير إلى ماهو فردي وعائلي.

وقد عرف **هابرماس** المجال العام بأنه مجتمع افتراضي أو خيالي ليس من الضروري التواجد في مكان معروف أو مميز (في أي فضاء) فهو مكون من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور ويقومون بوضع وتحديد احتياجات المجتمع مع الدولة، فهو يبرز الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار والتي تسعى للتأكيد على الشؤون العامة للدولة وهو شكل مثالي، وأشار **هابر ماس** إلى أن نجاح المجال العام يعتمد على:

- مدى الوصول والانتشار.
- درجة الحكم الذاتي (المواطنون يجب أن يكونوا أحرار)
- الفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي
- وجود سياق اجتماعي ملائم
- المساواة بين الأفراد في المشاركة عبر الفضاء العام

وقد استخدم **هابر ماس** مصطلح المجال العام عند تحليله للسلطة في فرنسا وبريطانيا خلال القرن 18 ، إذ أشار إلى تشكل عالم وسط " برزخ" يفصل بين الحياة الخاصة والدولة الملكية القائمة على السرية، ففي

غياب العلنية جاء هذا الوسط لتجرى فيه مناقشة الحياة السياسية للدولة، وأدوات هذا النقاش هي مختلف أشكال التعبير والتصورات الاجتماعية التي تؤطرها ، وذلك في فترة زمنية ما وفي مجتمع ما، حيث أن أدوات وأشكال التعبير تتغير وكذلك التصورات الاجتماعية التي تغذيها، وقد ظهر المجال العمومي في القرن 18 في فرنسا وبريطانيا اللتين شهدتا تطورا اجتماعيا واقتصاديا بعد الثورة الصناعية، حيث عرفت البنية الاجتماعية بروز طبقة اجتماعية جديدة وهي البرجوازية المستنيرة بأفكار عصر الأنوار، ففي تلك المرحلة انتقل مركز الثقل الاجتماعي من القرية إلى المدينة فانتشرت الصالونات والمقاهي والنوادي وكذا الكتب والدوريات كفضاءات للتواصل والنقاش العلني بين عناصر النخبة التي تنتمي إلى الطبقة الاجتماعية الجديدة بفضل امتلاكها للمؤهلات المعرفية بخلاف عامة الناس الذين كانوا خارج دائرة القراءة، ومن أهم السمات التي حددها هابر ماس للفضاء العام مايلي:

– المجال العام حيز من حياتنا الاجتماعية يمكن من خلاله أن يتم تشكيل ما يقترب من الرأي العام

– المجال العام ينشأ من ناس خصوصيين يجتمعون معا كجمهور يتناولوا احتياجات المجتمع من الدولة .

– المجال العام هو مجموعة أشخاص يستفيدون من عقلانيتهم وتفكيرهم في مناقشة المسائل العامة. فالمجال العام إذن هو تلك المساحات التي قيها يقوم الأعضاء بتناول ما يفضلونه ويصلون لقرار بخصوص كيف يعيشون معا ويعملون مع بشكل جماعي خلال المستقبل، كما أن هناك ثلاثة مظاهر تميز المجال العام أولها أن المشاركة فيه مفتوحة وثانيها أنه يساوي بين مواقع وأدوار الأطراف المشاركة فيه بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، وثالثها أن أي قضية فيه تكون قابلة للنقاش.

وترجع الأصول التاريخية لظهور الفضاءات العمومية إلى القرن الثامن عشر في أوروبا الغربية (فرنسا، ألمانيا، بريطانيا) فهي تتمثل بالأساس في المقاهي ، الصالونات ، المكتبات ، النوادي الثقافية ، الجمعيات الفكرية ، حيث كان البرجوازيون يتبادلون فيها الرأي ويتناقشون في مسائل تتعلق بالفن والأدب في مرحلة أولى ثم في المسائل السياسية بعد الثورة الفرنسية وتطورت هذه الفضاءات بالتوازي مع تنامي القراء وتبادل المجلات والصحف ، واتسم النقاش في هذه الفضاءات بالتكافؤ والعقلانية، وعلى هذا النحو فإن النقاش العقلاني والحجاج النقدي يمثلان الواسطة التي يتشكل من خلالها الرأي العام باعتباره المعيار الذي اتفق حوله المتحاورون للحسم في مسائل عملية تتعلق بالحياة العامة، ومع انتشار التعليم وتطور الرأسمالية وظهور وسائل الإعلام الجماهيرية وتطور الإشهار وتداخل الأخبار والترفيه وتنامي المركزية في كل

المجالات تحولت الفضاءات العمومية المختلفة إلى فضاءات للتأثير السياسي والتسويق والبحث عن الهيمنة والولاء.

إن الفضاء العمومي يعد صورة جيدة من صور المشروعية على السلطة السياسية (أي على الفعل السياسي) لكنه يعد من جهة أخرى وسيلة ناجعة في نطاق الديمقراطية لتحويل طبيعة هذه السلطة أي تحويلها في أفق عقلنتها وتوجيها والتأثير فيها للتلاؤم أكثر فأكثر مع طموحات المواطنين وتطلعاتهم ومطالبهم، ويرى يورغان هابر ماس أنه توجد ثلاث وسائط تحكم المعاملات في الفضاء العمومي وهي :

*الدولة أو المجتمع السياسي يسمى وسيط السلطة

*النسق الاقتصادي : يستعمل وسيط المال

* المجتمع المدني : المهيكل في الفضاء العمومي ويستعمل وسيط الفعل (يسمى الفعل التواصلي)

لهذا لا يوجد قيد أو شرط يقمع المواطن لولوج الفضاء العمومي والمساهمة فيه ، إذ أن القدرة على التواصل بواسطة اللغة تكون كافية لوحدها لولوج هذا الفضاء بيد أن الفعل التواصلي في نطاق الفضاء العمومي لا يكتسي مشروعيته من حدود المصالح الخاصة أو الفئوية للأفراد أو الجماعات ، بل يكتسبها من حدود المصالح القابلة للتعميم والتي تتعالى عن المصالح الخاصة والجزئية للأفراد والجماعات المتنافسة ، لذلك عده بعض المفكرين (أبرزهم هابر ماس) المكان الذي تتكون فيه الإرادة العامة على نحو عقلاني.

انطلاقا من هذا المنظور لهابر ماس يمكن القول أن الفضاء العمومي هو مجال رمزي وسيط بين الدولة والمجتمع وليس مجال التنافس على السلطة ويجتمع المواطنون في الفضاء العمومي لتبادل الآراء وتبادل الأفكار والنقاش والحوار المتصل بالشأن العام ومن هذه الزاوية فإن الفضاء العمومي المرتبط بالديمقراطية باعتبارها نظاما مخصصا لإدارة المجتمع يقوم على النقاش العام كوسيلة للتشريع، وفي هذا الإطار فإن الفضاء العمومي مؤشر للحكومة الجيدة والحريات السياسية والفكرية باعتبارها إحدى آليات المساءلة السياسية ووفق هذا المنطلق فإن الفضاء العمومي يقتضي ضمانات دستورية للحريات المدنية الأساسية مثل حرية التعبير والتجمع والتفكير ونظام إعلامي مستقل وغير خاضع لسلطة الدولة.

2- ***تشكل الفضاء العمومي :***

لا يتشكل الفضاء العمومي بالمفهوم الهابر ماسي هكذا دون وجود أرضية مساعدة على ظهوره ، ويرى **بونيو** أن من بين العوامل المساعدة على ظهور الفضاء العمومي أو تمهد له نجد وجود تهيئة مادية للإقليم وشق الطرقات وشبكات توزيع السلع وبالإضافة إلى هذه العناصر المادية هناك العناصر الرمزية كوجود لغة مشتركة ومسيطرة، وعليه يمكن القول أن الفضاء العمومي يتحدد بثلاثة أبعاد :

البعد السياسي : هذه الفضاءات التي كانت تحت سيطرة الحكام والملوك تحاول النخبة الجديدة الاستحواذ عليها وتحويل مجرى النقاش فيها ليكون مشحونا بالنقد اتجاه القصر (السلطة الحاكمة)

البعد الاجتماعي: يتحدد الفضاء العمومي نتيجة لهذه النخبة التي تنشطه والتي لا تنتمي إلى حاشية الملك ولا إلى عامة الناس إنما هي فئة تتبنى وتعتنق أفكار فلاسفة الأنوار.

البعد الثقافي: يتحدد من خلال عالم الكتابة، فمنذ اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر بدأت الكتابة في الانتشار بالإضافة إلى الصحف التي بدأت هي الأخرى في الظهور والانتشار، إلا أن التحسينات التقنية التي كانت جارية وباطراد وانتظام بلغت درجة متقدمة في القرنين 18و19 مما سمح للفئة المتعلمة والمثقفة بنشر أفكارها و تبادلها مع الآخرين.